

الاساطير في حياة العرب قبل الاسلام

أ.م.د. نادية محمود فرحان

جامعة الأنبار / كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

edw.nadeh_alkhlee@uoanbar.edu.iq

<https://orcid.org/0000-0001-6347-5343>

المخلص البحث

إنّ دراسة الأساطير في حياة العرب قبل الإسلام تكشف عن جانبٍ مهمٍّ من ملامح البيئة الثقافية والروحية التي سبقت ظهور الدعوة المحمدية، رغم شحّ المدونات المكتوبة وضياح قسمٍ كبيرٍ من تراث شبه الجزيرة العربية آنذاك، فإنّ المواد القليلة الباقية -كالنقوش والروايات الشفهية وبعض الإشارات في كتب الأخبار والتاريخ- تدلّ على تنوّع اعتقادات العرب، ما بين تقديس النجوم والكواكب واعتقادهم بالجنّ والسعالي والغيلان، وارتباطهم بأصنامٍ تمثّل الدهر أو ترمز للخصب والمطر. وقد أثّرت البيئة الصحراوية القاسية في تشكيل هذه العقائد؛ إذ اعتمد أهلها على القضاء والقدر والمطر، كما تأثروا بحضارات مجاورة كابل والروم والفرس، وانفتحوا لاحقاً على اليهودية والمسيحية، مما عزز في امتلاك العرب بذوراً ميثولوجية وأساساً دينية محلية تفاعلت مع المؤثرات الخارجية قبل أن يأتي الإسلام بمنظومة التوحيد التي هدمت الأصنام وأعدت تشكيل التفكير الديني لدى المجتمع العربي.

المقدمة

يتناول البحث مقدمة شاملة وغنية بالمعلومات عن الأساطير في حياة العرب قبل الإسلام، حيث يقدم نبذة مفصلة وموسعة عن أهمية دراسة الأساطير وتأثيرها العميق والملحوظ على المجتمعات القديمة، يسعى البحث بشكل خاص إلى تسليط الضوء على الدور الحيوي والمهم الذي لعبته الأساطير في تشكيل وبناء الهوية الثقافية للأمة العربية وتأثيرها الكبير في العقيدة والسلوك اليومي للعرب قبل الإسلام، مما يعكس بوضوح وشفافية مدى تأثير هذه الأساطير العديدة والمتنوعة على جميع جوانب حياتهم اليومية، بما في ذلك التقاليد والعادات والقيم الاجتماعية التي كانت تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياتهم. تفصل هذه المعطيات بعمق كيف كانت تلك الأساطير تؤثر بشكل كبير في صياغة تفكيرهم ورؤيتهم للعالم من حولهم، معززة الروابط الاجتماعية والمعتقدات المشتركة بينهم، مما يعكس تراثاً غنياً يستحق الدراسة والتأمل. عانى الباحثون صعوبات جمة في استقصاء الأساطير العربية القديمة بدقة علمية، إذ قلّت النصوص التاريخية الموثوقة، وضاع جانب كبير من الأدب العربي القديم نتيجة عدم انتشار الكتابة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ومع ذلك استطاع الدارسون جمع شذرات من أخبار تلك الحقبة من خلال دراسة النقوش، والاستناد إلى الروايات الشفهية، والاستفادة مما دُوّن في العصور اللاحقة ضمن كتب السير والتاريخ والأدب. وتبرز مجموعة من المصادر التي تضم إشارات متفرقة تفيد في دراسة معتقدات العرب وأساطيرهم قبل الإسلام، مثل سيرة ابن هشام، التي تناولت أخبار العرب وأنسابهم، وأخبار عبيد بن شريفة، التي حوت روايات عن الأمم السابقة، والإكليل لابن هشام، الذي ضمّ معلومات عن أنساب حمير وأخبارهم، كما تضم القائمة مصادر أخرى لاحقة مثل الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الذي سرد كثيراً من الروايات عن العرب الجاهليين، ومروج الذهب للمسعودي، الذي عرض جوانب من معتقداتهم وحياتهم الاجتماعية، وأخبار مكة للأزرقي، الذي وثّق بعض العادات الدينية والممارسات المتوارثة في مكة قبل الإسلام.

ركز البحث على تناول الموضوعات التالية :

1. تعريف الاسطورة .
2. مصادر الأساطير العربية قبل الإسلام ودورها في بناء المعتقدات
- التأثير الخارجي لتكوين الاسطورة في حياة العرب قبل الاسلام.

• التأثير الداخلي لتكوين الاسطورة في حياة العرب قبل الاسلام.

• الرؤية الإسلامية للأساطير العربية قبل الإسلام

١- تعريف الاسطورة : هي الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها، وهي جمع أسطار و أسطير و أسطور، واللفظة من الألفاظ المعربة ، وهي Istoriya استوريا في اليونانية، و Historia في اللاتينية، وقد أطلقت عندهم على كتب الأساطير والتأريخ (علي، ٢٠٠٦، ج. ٥، ص. ٤٣) وتُعرف أيضاً على أنها سرد خيالي يتضمن أحداثاً خارقة للطبيعة، تُستخدم لتفسير الظواهر الكونية أو الطبيعية، (Oxford English Dictionary, 2020, p. 452) تم تداولها بصيغة رواية قديمة عبر الأجيال، لتوضح ممارسات دينية أو تاريخية أو طبيعية بوسائل بسيطة (Merriam-Webster Dictionary, 2021, p.361) وقد وصفت بأنها مجموعة من القصص الخيالية التي تروي نشأة العالم، الآلهة، والأبطال، وتشكل جزءاً من التراث الثقافي والديني للحضارات القديمة (Larousse, 2019, p. 120) لقد حظي مفهوم الاساطير بانه علم نال اهتمام واسع لدى الباحثين، فهو يدرس الخرافات والقصص المتعلقة بالآلهة وأنصاف الآلهة، وما تتضمنه من تصورات شعبي ما عن الكون والحياة، وقد ذهب بعض الدارسين إلى أنّ الشعر اليوناني يستند إلى هذا النوع من الخرافات التي تفترض وجود أشياء لا تمتلك أي حظ من الواقعية، مُشبهين إياها ببعض الحكايات العربية القديمة من قبيل خرافة كليلة ودمنة أو قصة ذات الصفا المنسوبة إلى النابغة الذبياني (عبّاس، ١٩٧٧م، ص ٣٥).

ومن جانب اخر عرفت هي قصة مقدسة تشرح مقتضيات حدثت في العصور الاولى ، وعملت القوى الطبيعية الخارقة والالهية في تكوين النظام الكوني والانساني ، وا لاساطير ليست مجرد قصص او خرافة ،وانما كانت تمثل قضايا رمزية تفسر رؤية المجتمعات لعالمها انذاك (Eliade, 1991, p. 25) .

٢- مصادر الأساطير العربية قبل الإسلام ودورها في بناء المعتقدات

• التأثير الخارجي لتكوين الاسطورة في حياة العرب قبل الاسلام انتقلت الأساطير إلى العرب قبل الإسلام عبر التأثيرات الثقافية للحضارات المجاورة، مثل البابليين والآراميين ، اليونان، الرومان ،والفرس فقد وصلت إلينا أساطيرها من خلال نصوص مكتوبة ومؤلفات موثقة، الا إنّ الوضع لدى العرب قبل الإسلام مختلف؛ إذ لم تصلنا نصوص دينية جاهلية صريحة، ولم نجد مؤلفات تركها مؤرخون أجانب أو إقليميون تُفصل قصص الاساطير العربية، وقد أدى هذا النقص في الوثائق إلى الاعتقاد لدى بعض المستشرقين بأنّ العرب في الجاهلية كانوا يفتخرون إلى أساطير دينية منمّمة، بخلاف غيرهم من الشعوب القديمة (Ali, 1976, Vol. 11, p. 19). فإشار بعض المؤرخين وعلماء الأنساب إلى أن العرب، والفينيقيين، والآشوريين، والبابليين ينحدرون من أصول متقاربة، مما يفسر التشابه في تكوينهم الجسدي وعاداتهم، ويعزز بعض الباحثين هذا الطرح بالاستناد إلى رأي رابرتسن سميث، الذي يرى أن الشعوب التي تنحدر من أصل مشترك غالباً ما تتقاسم العقائد والشعائر الموروثة، سواء كانت دينية أو غير دينية (ابن الكلبي، ١٩٨٥، ج. ٢، ص. ٤٦؛ ابن هشام، ١٩٩٠، ج. ١، ص. ٢٥؛ علي، ٢٠٠٦، ج. ٥، ص. ٤٣)، فانعكس ذلك التأثير البابلي في ظهور معتقدات تضمنت عناصر وثنية (المسعودي، ١٩٨٩، ج. ١، ص. ٢٠٠) في أساطير سومرية وبابلية لتفسير مفاهيم مثل الخلود والسلطة الإلهية في ملحمة جلجامش و الآلهة الأومبية لدى المجتمعات اليونانية (Kirk, 1970, p. 78) فقد تأثر العرب بوثنيات بابل والروم واليمن؛ فعبدوا الكواكب ك الزهرة ومردوخ وبعل، أمّا هبل، فأدخل إلى الكعبة من خارج شبه الجزيرة العربية وأصل كلمة صنم آرامي، كما جاء ذكر الأصنام آرامية بثلاثة أسماء: صلّم، وسنكال، وعشرة، صلّم هو نفسه بعل (ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٥٢) ، مصنوع من عقيق أحمر مكسور اليد جعلت له يد من ذهب، وظلّ أشهر أصنام قريش في جوف الكعبة، (سميث، ٢٠٠٥، ج ١، ص. ٢٢١، لندن: دار الدراسات الشرقية) الذي عدّ إلهاً للخصب، ومما يلفت الانتباه أنّ تتبلور فكرة عبادة الأصنام في جزيرة العرب لتصبح آلهة رئيسة إلا في القرن السادس قبل الميلاد، إذ كان الجاهلي لا يعتقد أنّ الصنم خلقه أو خلق الكائنات، بل تارةً يقّسه، وأحياناً قد يسخر منه، وكان يصنع أحياناً صنماً من التمر، فإذا جاع أكله! (ابن الكلبي، ١٩٨٥، ج. ١، ص. ٦٦) وهناك مناة، وتعني القدر أو الموت، وكان منصوباً على ساحل البحر بين المدينة ومكة، يتقرب إليه الأوس والخزرج وسائر العرب واللات، وقد عُبدت في الطائف على شكل صخرة بيضاء عظيمة، ويبدو أنّ اسمها مشتق من الشمس لدى النبطيين، أمّا العزى، فهي المقابلة لعشتار عند البابليين، وترمز إلى الربيع والحب والخصب، ووُصفت في بعض الروايات بالزهرة أو نجمة الصبح، وفي تراث الجاهليين أيضاً ودّ، الذي يعني شجرة الحب في الثقافة البابلية، ويُظنّ أنّه إله حبّ إغريقيّ الأصل (إيروس)، وكان تمثاله على هيئة رجل بملابس فاخرة، يتقلّد سيفاً وقوساً، ويبدو حربة وجعبة (المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٢٠). (علي، ٢٠٠٦، ج. ٥، ص. ٤٣) انعكس التأثير الخارجي على العرب في صياغة رموز وأساطير متنوّعة، حيث استمدت بعض هذه الأساطير عناصرها من الثقافات المجاورة، مثل الإسرائيليات: اليهودية والمسيحية والصابئة في بعض المناطق الحضرية، مثل يثرب، ونجران، واليمامة (Wellhausen, 1927, p. 135)

التي ضمنت بعض الروايات القديمة لقصصًا متعلقة بآدم وحواء، إذ صوّرت حواء على أنها المسؤولة عن إغواء آدم في الجنة، وهو ما يتعارض مع النص القرآني، الذي يسند الخطأ إلى كل من آدم وزوجه معًا (السعفي، ٢٠١٠، ج. ١، ص. ٣٠).

• **التأثير الداخلي لتكوين الاسطورة في حياة العرب قبل الاسلام.** لعبت البيئة الصحراوية، خاصة في منطقتي الحجاز ونجد، دورًا محوريًا في تشكيل هذه المعتقدات، حيث أدى شحّ الأشجار وقلة موارد المياه، مثل الآبار والعيون، إلى ترسيخ الشعور بالالتكالية والاعتماد على العوامل الطبيعية، مثل انتظار نزول الغيث، كما انعكس صفاء الصحراء ووضوح السماء على أسلوب العربي الجاهلي في التعبير، فكان خطابه مباشرًا، خاليًا من التعقيد، ودقيقًا في وصف المرثيات، وفي ظل هذه الظروف، ازدهرت لديه أشكال متنوعة من العرافة والتطير، حيث لجأ إلى الاستقسام بالأزلام، والإيمان بالفراسة والقيافة، واستنباط الأسرار من العلامات المحسوسة (ابن قتيبة، ١٩٩٢، ج. ١، ص. ٨٨؛ القزويني، ١٩٧٧، ج. ١، ص. ٥٥؛ المسعودي، ١٩٨٩، ج. ٢، ص. ١٥٦). ارتبط انتشار الاساطير بعقائد العرب ان بعض الأشجار والصخور تحتوي على قوى روحية، فقدس العرب بعض الأشجار مثل النخيل والرتم، بينما اعتبروا أن شجرة الحماطة تحمل روح الشر، (الأزرق، ٢٠٠٣، ج. ٢، ص. ٢١٠)، فقد اتخذ العرب شجرة من نوع (الرتم) حارسًا على زوجته، وقدس الجاهليون الأشجار وعدّوها أحيانًا طوطمًا، ولم يقتصر الأمر على الشجر؛ بل شمل كل ما يتصل به من أغصان وأعواد وجذور، كما قدّسوا العظام والريش والأنياب والمخالب والحوافر والأحجار، وقدموا لها القرابين، واتخذوها تماثيم تُعلّق في أعناق الصبيان للحماية من العين والخطف، وعبدوا النار لارتباطهم بها في موافدهم، وربطوها بالخشب والأحجار التي تُشعل منها، (زيدان، د.ت، ج. ١، ص. ١٩)، واعتقد العرب اعتقادات متعلقة بتأثير الجبال في حياتهم، مثل جبل أبي قبيس الذي ظنّوا أنه يشفي الصداع، وجبل خودقور الذي ادّعوا أنه مصدر لتعليم السحر (زيدان، د.ت، ج. ١، ص. ١٩) بينما ارتبطت الأساطير الجاهلية بحركة النجوم والكواكب، إذ انتشرت قصصٌ حول نجم سهيل، العبور، والغميصاء، التي صوّرت على أنها نجومٌ متحدة انفصلت فيما بعد، مما يعكس ميثولوجيا محلية تتعلق بالكون والأجرام السماوية (البلخي، ١٩٩٥، ج. ٣، ص. ١٤)، كما اعتبر العرب بعض الكواكب رموزًا إلهية، مثل كوكب الزهرة الذي نُسجت حوله أسطورة تحكي عن امرأة حسناء تحوّلت إلى نجم (Peters, 1994, p. 56؛ An-Nuwayri, 1990, Vol. 2, p. 239) لقد تشكلت أساطير العرب قبل الاسلام من حياتهم اليومية؛ نتيجة امتلاكهم خيالًا خصبًا مكّنه من تبلور بعض المفاهيم المجردة في رموز حيوانية، فالشجاعة ارتبطت بالأسد، والمكر بالثعلب، والوفاء بالكلب، والصبر بالحمار، مما اسهم ببدء بذور الطوطمية من خلال تقديس بعض الحيوانات واتخاذها رموزًا للقبائل وأطلقوا أسماءً على قبائلهم، مثل بني كلب وبني أسد، وظنّوا أنها توفر الحماية، حتى أنهم كانوا يدفنونها أو يكفنونها كما يفعل بالبشر (القزويني، ١٩٧٧، ج. ١، ص. ٨٨). (الدميري، ١٩٨٠، ج. ١، ص. ١٢) اختلفت الروايات حول مدى إمكانية تكاثر الممسوخ، فبرزت فكرة المسخ وتحولات البشر إلى كائنات أخرى، إذ اعتقد العرب أن بعض البشر تحوّلوا إلى حجر، أو شجر، أو حيوان، إذ كانت تعكس تصوّراتٍ رمزيةً حول العقاب الإلهي أو التحول الوجودي، كما يمكن أن تعبّر عن محاولاتٍ لتفسير الظواهر الطبيعية، مثل القصص المتعلقة بأساف ونائلة أو الاعتقاد بأن الضب كان إنسانًا ممسوخًا كما أشار بعضهم إلى أن بعض الممسوخ لا تتناسل، بينما اعتقد آخرون أن نسلها مستمر، (الأزرق، ٢٠٠٣، ج. ٢، ص. ١١٢). (القزويني، ١٩٧٧، ج. ١، ص. ٨٨). (الجاحظ، الحيوان، ج. ٣، ص. ٤٥، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٠م). المقرئزي، إمتاع الأسماع، ج. ٥، ص. ١٤٧، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٨م). (ابن هشام، السيرة النبوية، ج. ١، ص. ١٥٢) تنوعت الأساطير منها البطولية التي كانت جزءًا أساسيًا من الموروث العربي، حيث نسجت قصص عن أبطال خارقين، مثل عنتر بن شداد، والوزير سالم، وسيف بن ذي يزن، الذين خاضوا معارك ملحمة، أضفيت عليها عناصر خيالية (ابن قتيبة، ١٩٩٢، ج. ١، ص. ٨٨) كانت أساطير الجن والسعالي تحتل مكانة بارزة في حياة العرب قبل الاسلام، حيث اعتقد بوجود كائنات خفية تؤثر في حياتهم، مثل الغول والنسناس، وتحوّلت بعض هذه الكائنات إلى رموز أدبية لاحقًا، كما في شخصية تابط شرًا الذي ارتبط بالجن في بعض الروايات (المسعودي، ١٩٨٩، ج. ١، ص. ٢١٠).

• **الرؤية الإسلامية للأساطير العربية قبل الإسلام** تناول التراث الإسلامي الأساطير العربية السابقة للإسلام بنظرة نقدية وتحليلية، حيث سعت النصوص الدينية والتفاسير الإسلامية إلى تصحيح بعض المفاهيم التي تبناها العرب قبل الإسلام، وتوضيح الفارق بين المعتقدات الوثنية والخرافية وبين العقيدة الإسلامية التي جاءت لتصحيح هذه الانحرافات الفكرية، وقد تجلّى ذلك في القرآن الكريم، وكتب التفسير، والسيرة النبوية، فضلًا عن الدراسات الفكرية الإسلامية التي ناقشت الأسطورة في سياق العقيدة الإسلامية. ضمنت هذه المعتقدات حتى مطلع العصر الإسلامي، مختلطًا في أحيانٍ كثيرة بمعتقدات اليهود والنصارى، فكانت كلُّ قبيلةٍ تملك صنمًا تحلف به وتتقرّب إليه بالقرابين، إلى أن ظهرت في مكة دعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد، فحطمت عادات عبادة الأصنام وحصرتها في إطار الشرك والضلال، ولم يكن التوحيد معروفًا عند الجاهليين إلا بصورة محدودة، مثل ما عُرف عن ورقة بن نوفل وعبد الله بن جحش وغيرهما من الحنفاء الذين انصرفوا عن الوثنيّة ومالوا إلى المسيحيّة أو بحثوا

عن الدين الحق، حتى جاء الإسلام وأعلن توحيد الله الواحد (الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص ١٣٠). استمرت بعض الأساطير والخرافات بالتداول، ونقلت إلينا لاحقاً بشكلٍ غامضٍ أو ناقصٍ بفضل جهود المؤرخين المسلمين، ويرى بعض الباحثين أنّ قصة ذو القرنين وأجوج ومأجوج نموذجاً لتداخل الرواية القرآنية مع ما أضيف إليها من أساطيرٍ في بعض التفسيرات المتأخرة، ينصّ القرآن الكريم على تمكين الله لذي القرنين في الأرض وقدرته على بلوغ مشرقها ومغربها، مع بيان أنّ ما ذكر من أحداثٍ عنه إنّما هو وحيٌ أوحاه الله إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، دون حاجةٍ إلى الاعتماد على الإسرائيليات أو المرويات المبالغ فيها (ابن كثير، ٢٠٠٠، ج ٣، ص ٨٢) يرى عددٌ من المفسرين أنّ تجاوز النصّ القرآني باتجاه قصصٍ غير موثوقة، كالتي وردت في بعض كتب التفسير الإسرائيلية أو المرويات الضعيفة، قد يسيء إلى مفهوم القصة القرآنية الغني بذاته، ومن ثم لا ينبغي التوسع في تفاصيلٍ لم يرد بها دليلٌ صحيحٌ حفاظاً على منهجية التحقيق العلمي واحتراماً للمستوى الذي ارتضاه القرآن نفسه في العرض (الطبري، ٢٠٠٣، ج ١٦، ص ١٠). يشير بعض الباحثين المعاصرين إلى أنّ التراث الإسلامي قد حظي بمكانةٍ خاصةٍ للماء، وذلك لأسبابٍ عقديّةٍ ترتبط بمركزية الماء في خلق الكائنات، وورود ذكر العرش على الماء، في حين أنّ بعض الثقافات القديمة تصوّرت الإله مقبلاً في قصره بقاع البحار أو عند ملتقى النهرين (السعفي، ٢٠١٠، ص ٧٨) غير أنّ هذه المقارنة تستلزم الحذر الشديد؛ ذلك أنّ صورة الإله في التصوّر الإسلامي متعاليةٌ عن هيئاتٍ حسيّةٍ ماديّةٍ، وفي السياق ذاته تتعدّد الرؤى بشأن قصة هبوط آدم وحواء، حيث يتوقف بعض المفسرين عند تصوير القرآن الكريم لمسؤوليّة كليهما في الأكل من الشجرة، بينما قدّمت بعض الإسرائيليات والروايات الضعيفة حواء في دور المغوية الأولى لأدم، وينبّه الأمر إلى خطورة خلط هذه المرويات -التي ربّما تسلّل بعضها عبر كعب الأبحار أو غيره- مع الأحاديث الصحيحة، لا سيّما عند تناول مسائلٍ عقديّةٍ أو خلقية (ابن كثير، ٢٠٠٠، ج ١، ص ٥٠ يبدو أنّ تفسير الطبري أو غيره من كتب التراث أورد رواياتٍ متباينةً في شأن قصة آدم وحواء، بعضها ورد منسوباً لابن عباس أو ابن مسعود أو وهب بن منبّه، وفي أحيانٍ عديدة، كان ابن كثير مثلاً يعلّق على هذه الروايات بقوله: هذا غريب أو فيه نظر، ممّا يشير إلى وعي العلماء المسلمين المبكر بأن كثيراً من القصص المرتبطة بأبناء بني إسرائيل أو قضايا الخلق الأولى قد يكون مصبوبةً في قوالب أسطورية متوارثة، لذلك تقتضي الأمانة العلمية التحري والفرز بين الصحيح والمرفوض، واستبعاد كلّ ما يتعارض مع أصول الإسلام (ابن كثير، ٢٠٠٠، ج ١، ص ٤٩).

١- موقف القرآن الكريم من الأساطير تناول القرآن الكريم الأساطير التي كانت سائدة عند العرب، وغالباً ما أشار إليها بوصفها أساطير الأولين، للدلالة على المرويات التي لا تستند إلى وحي إلهي، وإنما إلى تقاليد وثنية وأخبار مروية دون تحقق، وقد وردت عبارة أساطير الأولين في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣١) يشير هذا المفهوم إلى محاولات المشركين التشكيك في الوحي، واتهام القرآن بأنه مجرد امتداد للأساطير القديمة، وهو ما رد عليه القرآن بتقديم حجج عقلية وروحية تؤكد تفرد مصدره الإلهي (الطبري، ١٩٩٢، ج ٩، ص ٨٨)، كما وظّف القرآن الكريم بعض المفاهيم التي ارتبطت بالأساطير العربية، لكنه أعاد تأطيرها ضمن رؤية دينية أكثر شمولاً. فعلى سبيل المثال، تم ذكر الجن والسعالي، لكن في سياق يوضح حقيقتهم، بعيداً عن الخرافات الجاهلية (ابن كثير، ٢٠٠٠، ج ٣، ص ٢١٠).

٢- التفسير الإسلامي للأساطير عالج كتب التفسير الإسلامية بعض الروايات المتداولة بين العرب قبل الإسلام، والتي تأثرت بالإسرائيليات والموروثات الدينية السابقة. ومن أمثلة ذلك:

❖ الحية في قصة الخلق لم يرد في القرآن الكريم ذكر الحية في قصة آدم وإبليس، لكن بعض كتب التفسير المتأخرة استلهمت هذه الصورة من مصادر يهودية ومسيحية، حيث زُعم أنّ إبليس تسلل إلى الجنة عن طريق الحية (السعفي، ٢٠١٠، ج ١، ص ٣٠).

❖ الشجرة المحرمة أشارت بعض التفسيرات إلى أنّ الشجرة التي أكل منها آدم كانت شجرة المعرفة، مستندة إلى روايات غير قرآنية، بينما بقي النصّ القرآني أكثر إغراقاً في العجيب والغريب، إذ ربطها بمفهوم الخلود، مما جعلها رمزاً أكثر شمولاً للابتلاء الإلهي (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ٢، ص ١٤٥)، بينما صغّر المفسرون من شأنها، وقد ارتبطت أنواع أخرى من الأشجار، مثل شجرة الزيتون والزقوم وشجرة الطور، بوظائف دينية أو رمزية في مختلف المعتقدات (السعفي، ٢٠١٠، ج ١، ص ١٠٤). بينما طرحت بعض التفسيرات الإسلامية مفاهيم متأثرة بالأساطير المحيطة، خصوصاً فيما يتعلق بانكشاف العورة بعد الأكل من الشجرة المحرمة، وقد حاول بعض الباحثين العلمانيين ربط هذه الأفكار بالتصورات الدينية الأخرى لإثبات التشابه بين الإسلام والديانات الأسطورية (أركون، ٢٠٠٥، ص ٢١٠).

٣- نقد العلماء المسلمين للأساطير

اهتم العلماء المسلمون بتفكيك الأساطير التي انتشرت بين العرب، وبيان حقيقتها من منظور إسلامي، ومن أبرز هؤلاء:

١. ابن تيمية (١٩٨٠)، الذي ناقش في كتابه الرد على المنطقيين الأساطير المرتبطة بالجن والخرافات الشعبية، وأوضح كيف كانت تُستخدم لتفسير الظواهر الطبيعية قبل الإسلام.

٢. ابن خلدون (١٩٩٥)، في المقدمة، حيث تناول كيفية نشوء الأساطير في المجتمعات القبلية، ودورها في تشكيل الوعي الجمعي قبل الإسلام.

٣. الشهرستاني (١٩٩٨)، في الملل والنحل، الذي استعرض المعتقدات والأساطير التي شاعت بين العرب، وبين أصولها وتأثيرها على الفكر العربي الجاهلي.

الأساطير في ضوء الفقه الإسلامي تناول الفقه الإسلامي بعض العادات والأساطير الجاهلية، وناقش مشروعيتها بعد الإسلام، مثل: الاستقسام بالأزلام: وهو ضرب القداح لمعرفة المصير، وقد نهى عنه الإسلام لأنه يتعارض مع مبدأ التوكل على الله (ابن القيم، ٢٠٠٣، ص. ٢١٢)، الطيرة والتشاؤم: اعتبر الإسلام هذه الممارسات نوعاً من الشرك، حيث جاء في الحديث: لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح (رواه البخاري، حديث رقم ٥٧٧٦)، حارب الإسلام عبادة الكواكب والنجوم، ونفى تأثير النجوم في المصائر البشرية (الألوسي، ٢٠٠١، ج. ٥، ص. ٣٠٢) مقارنة بين الأساطير العربية والتأويل الإسلامي قدّم الإسلام تفسيراً متماسكاً يعتمد على الوحي والعقل، ويمكن تلخيص الفروق في الجدول التالي:

الموضوع	الرؤية الأسطورية الجاهلية	الرؤية الإسلامية
الجن والسعالي	كائنات خارقة تتحكم في البشر	مخلوقات من نار، لا تتحكم في مصير الإنسان
الطوطمية	عبادة الحيوانات كرموز قبلية	رفض عبادة أي مخلوق سوى الله
القدر والمصير	يخضع لإرادة الكواكب والنجوم	يعتمد على القضاء والقدر الإلهي
السحر والتنجيم	يؤثر في الواقع والمستقبل	مجرد خدع وشعوذة لا تملك تأثيراً حقيقياً

خاتمة

أبرز النتائج والاستنتاجات

١. يتبين من هذه القراءة الموجزة أنّ الأساطير عند عرب الجاهلية تشابكت فيها العقائد والأفكار والمظاهر البيئية والدينية، مما أثمر منظومة اعتقادية وأسطورية متكاملة، خضعت لتأثيرات خارجية من حضارات بابل وأرام والرومان، وتأثيرات داخلية برزت من خصوصية البيئة الصحراوية القاسية. وقد وثقت بعض الكتب العربية القديمة جانباً من هذه المعتقدات والقصص، وإن وصلت إلينا في سياقات متفرقة وغير منتظمة.

٢. غياب التدوين: لم يترك العرب قبل الإسلام نصوصاً عقائدية مكتوبة على نحو منظم، بل اعتمدوا الرواية الشفوية، مما أدى إلى ضياع قسم كبير من موروثهم الأسطوري.

٣. التنوع العقدي: أظهرت البيئة الجاهلية تنوعاً هائلاً في المعتقدات، من عبادة النجوم والكواكب والجن والطوطمية، مروراً بالأصنام المحلية والمستوردة، وصولاً إلى اعتناق بعضهم لليهودية أو النصرانية أو أتباع الحنفاء.

٤. الأثر البيئي والحضاري: لعبت البيئة الصحراوية دوراً بارزاً في تشكيل الذهنية الدينية عند العرب، كما أثر تواصلهم التجاري والثقافي مع حضارات كالبابلية والآرامية والرومانية في إدماج عناصر خارجية في معتقداتهم.

٥. الحاجة إلى المنهج النقدي: توصلت هذه الدراسة إلى أهمية إخضاع الروايات المتداولة للنقد التحليلي، ومقارنتها بالدلائل الأثرية والنصوص المجاورة؛ للتمييز بين الحقائق التاريخية والزيادات الأسطورية أو الإسرائيلية الدخيلة.

٦. تتكامل جوانب الصورة حول الأساطير في حياة العرب قبل الإسلام، لتكشف عن حقيقة غنية بالتنوع الديني والفكري، وقد شكّلت الأساس الذي قامت عليه دعوة التوحيد مع رسالة النبي محمد ﷺ؛ إذ وجدت مجتمعاً يضحّ بمزيج من التراث المحلي والتأثيرات الأجنبية، فتصدت لإعادة بناء عقيدتهم على أسس التوحيد والعبادة الخالصة لله.

٧. تميزت الرؤية الإسلامية للأساطير العربية قبل الإسلام بمحاولة تنقية الموروث الديني من الخرافات والأساطير التي لم تستند إلى وحي إلهي، مع إعادة تفسير بعض الظواهر ضمن إطار عقدي سليم، وقد عالج القرآن الكريم والمصادر الإسلامية هذه القضايا من خلال منظور عقلائي وروحي، مما جعل الإسلام يقدم تصوراً أكثر شمولية للوجود الإنساني والطبيعة الكونية

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- الأزرقى، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) (٢٠٠٣):
- مآخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطبعة دار الثقافة، مكة المكرمة.
- ٢- ابن تيمية. تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (٧٢٨هـ/٣٢٨م) (١٩٨٠) .
- الرد على المنطقيين. دار الفكر . بيروت
- ٣- الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر .(٢٥٤هـ/٨٦٨م). (٢٠٠٠م).
- الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون . دار الجيل . بيروت
- ٤- ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) (١٩٩٥م). - المقدمة. دار الفكر . بيروت.
- ٥- الدميري. عبد الرحمن بن محمد (١٩٨٠).
- حياة الحيوان الكبرى .دار التراث العربي. بيروت.
- ٦- زيدان. يوسف (١٩٩٧م).
- تاريخ آداب اللغة العربية. دار الهلال . القاهرة
- ٧- السعفي. (٢٠١٠م)
- فصول في الدراسات الحضارية.. مركز الدراسات الحضارية.دبي.
- ٨- الشهرستاني. أبو حيان محمد بن عبد الله (٣٢٩هـ/٩٤١م) (١٩٨٠م).
- الملل والنحل . دار المعرفة . بيروت
- ٩- الطبري. محمد بن جرير (٣١٠هـ/٩٢٣م) (٢٠٠٣م)
- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.. دار المعارف - القاهرة
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن.. دار الفكر . بيروت.
- ١٠- ابن عاشور. عاشور. (١٩٨٤م)
- التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر . تونس
- ابن عاشور. (١٩٨٤).
- ١١- التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن قتيبة. محمد عبد الله بن مسلم، وثروت عاكشة (١٩٩٢م)
- المعارف. دار الكتب العلمية . بيروت.
- ١٣- القزويني. زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/٢٨٣م) (١٩٧٧م)
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: حسين نصار. . دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٤- ابن القيم. عبد الرحمن بن سعد بن أبي بكر القيم الجوزية (٧٥١هـ/١٣٥٠م) (٢٠٠٣م)
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . دار المعرفة. بيروت.
- ١٥- ابن كثير. إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ/١٣٧٣م) (٢٠٠٠م)
- تفسير القرآن العظيم . دار الكتب العلمية . القاهرة.
- ١٦- ابن الكلبي. أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر (١٩٨٥م).
- الأضنام . مكتبة التراث . القاهرة.
- ١٧- الألوسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن أحمد (٨٢١هـ/١٤١٨م) (٢٠٠١م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم . دار الكتب العلمية . بيروت.
- ١٨- المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) (٢٠٠٥م)

- مروج الذهب، تحقيق: أسعد طرابشي . دار الهلال . بيروت .
١٩- المقريري، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (١٤٤٢/هـ ١٤٤٥م) (٢٠٠٨م).
- إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع . دار الكتب العلمية . بيروت .
٢٠- ابن هشام. عبد الملك (ت ٢١٣/هـ ٨٢٨م) (١٩٩٠).
- السيرة النبوية . دار الكتب العربية . بيروت .
ب. المصادر الغريبة

- 1.Eliade, M. (1987). The Sacred and the Profane. Harcourt
- 2.Frazer, J. G. (1970). The Golden Bough. Macmillan
- 3.Kirk, G. S. (1970). Myth: Its Meaning and Functions. Cambridge University Press
- 4.Bottero, J. (2001). Religion in Ancient Mesopotamia. University of Chicago Press
- 5.Breasted, J. H. (1935). The Dawn of Conscience. Charles Scribner's Sons